فتح

حركة التحرير الوطني الفلسطيني

دراسات وتجارب ثورية

٨

تحرير الأقطار المحتلة

واسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر

فتح

حركة التحرير الوطني الفلسطيني

دراسات وتجارب ثورية

٨

تحرير الأقطار المحتلة

واسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر

مقدمـــــة

يقوم الاحتلال على مبدأ القهر والاغتصاب ويتخذ شكله المعروف في غزو الاقطار والسيطرة على مقدرات الشعوب وتسخير طاقاتها لخدمة مصالح الدول المستعمرة . ان القوة العسكرية هي المظهر الخارجي للاحتلال الاجنبي ولكـن هذا المظهر الواضح يخفي وراءه مظاهر اخرى اشد خطورة منه، وتشمل هذه المظاهر استغلال ثروات البلاد المقهورة ماديا وبشريا لخدمة الدول الاستعمارية . وابشع انواع الاحتلال هو ذلك النوع الذي يتخذ شكل الاستيطان عندما تحـاول الدول الغازيـة تهجير جماعات من شعوبها لتحل مكان اهل البلاد الاصليين وتقوم بدورها العدواني في تشريدهم او استغلالهم او ابادتهم . وكان استيطان الفرنسيين في الجزائر مثلا حيا على ذلك والابشع منه احتلال الصهاينة لجزء مـن فلسطين واغتصاب هذا الجزء وتشريد اهله . وقد انتشر هذا الوباء الاستعماري في كثير من بقاع العالم مثل روديسيا وجنوب افريقيـا .

لقد شهد القرن الثامن عشر والتاسع عشر موجـــات

متلاحقة من الغزو الاستعماري الذي قامت بـه الدول الاوروبية بعد ان بدأت في هذه القارة ثورة صناعية عارمة تضخم نتيجتها الانتاج واصبح من الضروري على هذه الدول الصناعية ان تبحث عن اسواق جديدة لتصريف هذا الفائض من المنتجات الصناعية، وقد ترتب على ذلك ازدهار التجارة وامتداد افاقها لتشمل جميع بقاع العالم . فكانت تلك المرحلة تمثل بداية التكالب الاستعماري على احتلال الدول الاسيوية والافريقية .

وقد كان لتطور الامكانيات المادية والعلمية واكتشاف المزيد من الاختراعات الحديثة اثر كبير في بناء وتضخيم القوى العسكرية للدول الاوروبية التي اصبح لها اساطيل تجارية تجوب بحار العالم بحثا عن الثراء .

لقد اصبح الاتصال سهلا بين مختلف القارات وزاد حجم التجارة والملاحة بينها ونمت ثروات الامم المستعمرة وقوتها وقدرتها على الاستمرار في احتلال الدول الضعيفة .

ونتيجة لهذا التسابق الاستعماري بين الدول الاوروبية بدأت الخلافات والحروب تنشب بينها ، واخذت كل دولة تحاول الحفاظ على مستعمراتها بشتى الوسائل ولو ادى ذلك الى تصفية بعضها لنفوذ البعض الاخر . ومن خلال هذه الصراعات والحروب بدأت تتكون محتويات القومية في اوروبا فكان مضمونها توسعيا وعدوانيا وعنصريا في كثير

من الحالات . ولم يقتصر الصراع على الدول فيما بينهـــا بـل شمل ايضا الطبقات في كل دولة من هذه الدول نتيجة نشوء الطبقـة البورجوازيـة الجديدة ونمو الطبقة العاملة وسوء احوالها المعيشية . لقد زادت الفوارق الطبقية في كل دولة من هذه الدول الصناعية فازدادت حدة التناقض في هذه المجتمعات الاوروبية بين الطبقـة العاملة من جهـة والطبقة البورجوازية من جهة اخرى .

وبالرغم من ذلك فلم يكن لدى الطبقة العاملة وعي ثوري مكتمل حتى تحدد مطالبها الاشتراكية بشكل يزيل عنهـــا الاضطهاد ويقضي على الاستغلال . ولم يتبلور الوعي الطبقي الا بعد أن جاء ماركس بالاشتراكية العلمية واعتبر الصراع الطبقي الاساسي الذي يرتكـــز عليه تطور المجتمعـــات الانسانية .

وكانت القومية في نظره احدى مظاهر الطبقة البورجوازية لانها تقوم على الاستغلال والاضطهاد للشعوب الاخرى .

ومـــع مطلع القرن العشرين بدأ الكثير من الشعـوب المستعمرة يصحو ويتململ بعد ان اخذ الفكر الاشتراكـي ينتشر بشكل مهد الطريق لتنظيم الطبقـة العاملة وزيادة قوتها وفاعليتها في تطوير المجتمع الانساني ، وتسلمت دورها الرئيسي فى تصفية الاستعمار وبناء مجتمع الرفاهيـــة والعدل . لا شك ان اعطاء الجماهير الكادحـة دورهـــا

الرئيسي في تحرير اوطانها قد ساعد في تحرير هـــذه الاقطار وتصفية الاستعمار باشكاله المتعددة .

هذه مقدمة لا بد منها قبـل الحديث عن تحرير الاقطار المحتلة واسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر ومن هذه المقدمة نرى كيف نشأ الاستعمار كاخر مراحل الراسمالية وتتويجا لها ، كما نلاحظ ان الاستعمار يعتمد اول ما يعتمد على قوتـه المسلحة فى اخضاع الشعوب وعلى ما يملكه من ادوات حديثـة واساليب تكنيكية . واكبر اعوان الاستعمار وركائزه هي الطبقات الراسمالية والبورجوازية الكبيـــرة والاقطاعية . كما ان ضعف الوعي الثوري وانعدامه لدى الكثير من الشعوب المستعمرة يساعد على بقاء الاستعمار وترسيخ وجـــوده .

١ ـ الجماهير :

ان نقطة البداية في تحرير الاقطار المحتلة هي الاعتماد على الجماهير كقوة ثورية قادرة على تصفية الاحتلال والاستعمار المباشر ولكن .. قبل كل شيء لا بد من مراعاة الظروف الموضوعية والذاتية لكل قطر من الاقطار المحتلة وان تدرس هذه الظروف دراسة واعية حتى يمكن بعد ذلك رسم الخطط وتنفيذها . ولا شك ان بروز الوعي العام العالمي قد ساعد في زيادة امكانيات تصفية الاستعمار المباشر بصفته مناقضا للمرحلة الحالية من مراحل التطور الانساني . وقد برز نتيجة للوعي العالمي لضرورة تصفية الاستعمار اهتمام بالغ للكثير من الدول في تكتيل النضال المشترك للدول المستعمرة بشكل ايجابي فعال ، اي ان العالم المضطهد بدأ يتكتل ويتجمع في جبهة واحدة عريضة لمقاومة الاستعمار المباشر . وقد زاد هذا الاتجاه من قدرة الشعوب المضطهدة على التخلص من الاحتلال الاجنبي وخلق لدى الكثير من هذه الشعوب الحافز على العمل للقضاء على الاستعمار المباشر . وقد شهدت بداية القرن العشرين انتفاضات ثورية متعددة ضد الاستعمار المباشر بعد ان تبلور الفكر الثوري بشكل اصبح نتيجة ذلك قادرا على دفع الجماهير وتحريكها لتدمير الاستعمار وقواعده .

٢ ـ العنف المسلح :

حقا ان اسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر لا بد ان يبدأ بتحريك الجماهير وتنظيمها كقاعدة اساسية للنضال ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي لكن الصفة الجماهيرية للنضال لا تكفي وحدها لتصفية الاستعمار ولا بد للعمل الجماهيري المنظم ان يتخذ العنف المسلح اسلوبا حتميا لتصفية الاستعمار وركائزه .

ان كلمة الجماهير كثيرا ما تلوح بها حركات اصلاحية عديدة وتتخذ في نضالها شكل المظاهرات والاضرابات والتخريب والمقاومة الانية لقوى الاحتلال وهذا من شأنه في كثير من الحالات ان يجهض النضال الشعبي ويؤدي الى فتور ويأس للحركات الثورية . والجماهير في العرف الثوري هي الجماهير الكادحة المحرومة التي تعي ان في مقاومة الاستعمار مصلحة لها .

ان النضال ضد الاستعمار المباشر لا يشمل فقط هذه الجماهير الكادحة بل يشمل ايضا العديد من افراد الطبقات البورجوازية الوطنية ، اي ان مقاومة الاستعمار المباشر لا بد ان تتخذ شكلا وطنيا في البداية .

ان البورجوازية الوطنية في كثير من البلدان ترى في الاستعمار والاحتلال الاجنبي عدوا لها وتعتبر زواله امرا من مصلحتها لانها ستكون البديل الطبيعي للاستعمار بعد زواله، كما ان المثقفين بكل ما يتصفون به من سلبية وتردد يقفون موقفا ثوريا في الكفاح الوطني ويعطون للثورة وللمقاومة مضمونا فكريا واضحا .

ومع مراعاة الشروط الموضوعية لكل قطر من الاقطار نلاحظ ان اسلوب العنف المسلح هو اسلوب سائد ويكاد يكون اسلوبا حتميا في مقاومة الاحتلال والاستعمار المباشر . كما ان الجماهيرية صفة ملتصقة بمعظم النضالات الثورية ضد الاحتلال والاستعمار وقد اخذت هذه الصفة الجماهيرية تتحدد في الاونة الاخيرة كمفهوم يشمل العمال والفلاحين بصورة خاصة ، والمثقفين الثوريين بصورة محدودة .

وبكلمة قصيرة نستطيع القول ان حرب الجماهير على اوسع نطاق هي اسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر ولا بد ان يتخذ العنف المسلح اداة لتصفية هذا الاستعمار .

ان الجماهير هي اداة الثورة ولكن الجماهير تصبح اداة تخريبية اذا لم يراع تنظيمها جيدا من خلال برنامج ثوري يوعيها ويعرفها بدورها البطولي في مقاومة الاستعمار وركائزه .

كما ان دفعها الى العمل المسلح لا يتم بصورة غوغائية او

عشوائية او عفوية بل حسب اسس ثورية تراعي اهدافا محددة وحسب مراحل معينة يشترطها النضال ضد الاستعمار .

ان القناعة والايمان بالنصر عاملان هامان في النضال الجماهيري ولا يمكن للجماهير ان تتحرك وتندفع بوعي الا اذا أمنت ايمانا راسخا بضرورة النضال المسلح نتيجة التجارب والنتائج التي تشهدها يوميا والتي تؤكدها لها الاحداث في مختلف بقاع العالم .

٣ ـ الطلائع الثورية :

اذا كانت الجماهير اداة الثورة فلا بد لها من قيادة واعية تقود كفاحها المسلح من اجل تصفية الاستعمار . اي لا بد من طلائع ثورية مسلحة منسجمة الفكر والعمل تقوم بتجسيد النضال العيني امام الجماهير حتى تقتدي بها وتسير تحت قيادتهـــا .

ان رفـع شعار الكفاح المسلح والنضال الجماهيري لا يكفيـان لتصفية الاستعمار بل لا بد من اعطاء نموذج عيني لهذه الشعارات في الواقع العملي بوجود طلائع ثورية مسلحة تجسد كفاحا مسلحا ضد القوى الاستعمارية وتعتمـد على الجماهير اعتمادا كليـا .

ان اندماج الجماهير في النضال المسلح لا يتـــم بصورة مباشرة وفي زمن قصير بل لا بد من مضي زمن تحاول خلاله الطليعـة الثورية المسلحـة تجسيد كفاحها العيني امـــام الجماهير حتـى تستقطبها في النهايـة . ولا بد ان نعـــي ان نشر الافكار الثورية لا يمكن ان يتم بصورة صاعدة بين الجماهير الا من خلال وجود فئة ثورية طليعيـة متمـردة على واقعهـا .

ويخطىء البعض اذ ينادي بضرورة القيـــام بالتوعيـة

السياسية بين الجماهير قبل تجسيد الكفاح المسلح امام ناظريها لان العمل السياسي وحده لا يكفي لتحريك الجماهير بصورة دائمة بل سيساعد على خلق هاوة الشرذمة بين القاعدة الشعبية ويفقدها الثقة بقيادتها ويفرغ الحركة الوطنية من مضمونها الثوري .

لا بد للكفاح المسلح والتوعية الجماهيرية ان يسيرا جنبا الى جنب ، لان النضال المسلح يشعر الجماهير بشخصيتها الفاعلة ويعيد لها الثقة بالنفس ويحميها من اعمال القمع والارهاب الى حد كبير . وقد دلت الشواهد التاريخية على ضرورة ان يكون الكفاح المسلح في بدايته بعيدا عن المدن اي بعيدا عن مكان ادوات القمع والارهاب الاستعماري حتى يضمن اولا سلامة قواعده وحمايتها .

٤ ـ الوحدة الوطنية :

ان وجود طلائع ثورية مسلحة متمردة على واقعها هي نقطة البداية في الكفاح ضد الاستعمار المباشر ولا شك ان هذه الطلائع سوف تتحول مع الزمن ومن خلال نضالها المسلح المستمر الى طلائع واعية عميقة الفكر وصاحبة منهج ثوري في النضال والصفة الاخرى للعنف المسلح عدا صفة الجماهيرية هي صفة المدى الطويل . ان محاولة احراز نصر او انتصارات حاسمة في عمليات خاطفة او في مدى قريب امر لا يجدي نفعا ويدل على عفوية النضال المسلح وكونه تكتيكا في نظر الجماعات المسلحة لكسب سياسي آني . ولا بد للكفاح المسلح ان يعتمد على قاعدة صلبة يرتكز عليها وينطلق منها وشرط وجود هذه القاعدة امر ضروري في مكان منيع وبين جماهير نصيرة لهذا العمل بل متفاعلة معه حتى يضمن سلامة الثورة . وقد دلت النضالات المسلحة لكثير من الشعوب ان الكفاح ضد الاستعمار يتبلور في كثير من الاحيان في حركات واحزاب ثورية متعددة نسبة الى الفئات المختلفة صاحبة المصلحة في النضال ضد الاستعمار ، وهذا من شأنه ان يعثر الجهد الجماهيري ويقلل من فاعلية الثورة المسلحة لذلك كان شعار الوحدة الوطنية او الجبهة شعارا ملاصقا للكفاح ضد الاستعمار لكثير من الشعوب التي ناضلت او

تناضل ضد الاستعمار المباشر وعلى كل حركة ثورية ان تقوم بدراسة الواقع الاجتماعي وتصنيف الفئات فيه وتعريف الطبقات التي لها مصلحة في الثورة والطبقات التي ترى في الثورة عملا مناقضا لمصالحها . كما عليها ان تدرس الاحزاب الوطنية وبرامجها وتكوينها الطبقي ومدى استعدادها على ضوء ذلك للمشاركة في الكفاح المسلح . ان الثورة المسلحة مطالبة بالعمل لتوحيد قوى الشعب وخلق تحالف ولو مرحلي بين مختلف الحركات او الاحزاب الوطنية لان مرحلة الكفاح ضد الاستعمار المباشر تفرض الوحدة الوطنية لتزيد من فاعلية الثورة ومن قدرتها على تحقيق المنجزات المطلوبة ، ولكي تقلل من القوى المضادة للثورة وحتى تعزل في نفس الوقت القوى الاستعمارية عزلا تاما عن الواقع الاجتماعي للشعب المكافح كعنصر هام من عناصر حركة المقاومة ضد الاستعمار المباشر .

لا شك ان انتهاج العنف المسلح كأسلوب حتمي في تصفية الاحتلال لم يكن محض اجتهاد شخصي او تأمل فكري لرجال ثوريين بل كان تجربة ناجحة تجسدت من خلال كفاح العديد من الاقطار المستعمرة .

لقد اصبح هذا الرأي قانونا عاما في تاريخ الانسان يفرض نفسه في حروب التحرير ما دامت هذه الحروب تنشب بين قوى الاحتلال التي تمتلك اسلحة ضخمة من

جهة ومتقدمة في العلوم والتكنولوجيا من جهة اخرى وبين قوى الشعب المستعمر الذي يحارب بادوات بسيطة وقديمة وبامكانيات ضئيلة . لذلك كان الهدف الاساسي من الحرب الشعبية هو تسخير جميع طاقات الشعب في خدمة اغراض مقاومة الاستعمار كي يتم اولا عزل القوات الاستعمارية عزلا تاما عن الجماهير حتى لا يجد منها التعاون باي شكل من الاشكال . كما ان حرب الجماهير تزيد من حدة القلق والتوتر وانعدام الطمأنينة لدى المستعمر وتفشل الاهداف التي جاء من اجل تحقيقها كاستغلال الطاقات البشرية والمادية للبلد المستعمر . اضف الى ذلك ان العنف المسلح يقلل من احتمال تعاون الطبقات البرجوازية مع المستعمر كما يمكن تصفية كل ركائز الاستعمار من عملاء وخونة .

ليس بالسهل اطلاقا ان يرحل الاستعمار عن البلدان المستعمرة ويتخلى عن مصالحه واطماعه نتيجة قيام الجماهير باعمال سياسية تطالبه بالرحيل لقد جاء الاستعمار عن طريق العنف والقهر ولا بد ان يرحل ويصفى بالعنف ايضا . ان الاستعمار يتخذ مبدأ الربح والخسارة ميزانا يقيس به مصالحه فاذا تعرضت هذه المصالح للخطر لاي سبب من الاسباب فانه عادة ما يميل الى تجنب هذا الخطر بشتى الوسائل العنيفة حتى يصل في النهاية الى التسليم بضرورة الرحيل عن القطر المستعمر

بعد ان يضمن اكثر نسبة من الارباح . وكثيرا ما شاهدنا من خلال تاريخ كفاح الشعوب المستعمرة ، ان الاستعمار يحاول خنق الكفاح الوطني من اجل الاستقلال بشق هذا الكفاح او بالمساومة والمفاوضة والتنازل الى ان يصل الى اكبر نسبة ممكنة من الحفاظ على مصالحه . وكثيرا ما تتعرض حركة مقاومة الاستعمار الى الانشقاق او الشرذمة بسبب ما يحاول الاستعمار تقديمه من تنازلات او استعدادات للتنازل شرط ايقاف الكفاح المسلح ، لذلك على الحركات الوطنية ان تدرك ضرورة عدم ايقاف الكفاح المسلح الا بعد ان تحقق اهدافها .

اذا استطاعت الحركة الوطنية ان تحقق جلاء المستعمر عن البلاد دون قيد او شرط يمس سيادة البلاد فلا بد لها ان تدرك ان الاستعمار يخلف عادة وراءه رواسب عفنة في المجتمع ، وتعتمد شدة هذه العفونة ومدى جذرية الوجود الاستعماري في هذا المجتمع على مدى فترة وجود الاحتلال وقدرة المجتمع على المقاومة وعلى مناعته الثورية .

وتتكون هذه الترسبات التي يخلفها المستعمر وراءه في شكل مؤسسات اقتصادية او اجتماعية او ثقافية او ربما قواعد عسكرية او الارتباط باحلاف اجنبية او بتقديم معونات مشروطة بشروط سياسية ظاهرة ومبطنة او ان هذه الترسبات تتجسد في شخص فرد حاكم او عدد من الافراد

او بنظام رجعي او بطبقة راسمالية كانت او بورجوازية او اقطاعيـــة ، ومن ذلك ندرك ان جلاء واختفاء الاستعمـــار جذوره البعيدة المدى في حياة المجتمع وفي تكوينه النفسي هذا اذا كان الاستعمار المباشر عبارة عن احتلال عسكري ، اما اذا كان استيطانا لشعب من الغرباء بدلا من الشعـب الاصلي فان هذا الاستيطان سيزيل الاثار الاجتماعية للشعب المقهور ، ويفصله عن بيئته الطبيعية او يجعله طبقة مستغلة تعمل في خدمة المصالح الاستعمارية وفي خدمة الطبقـة الجديدة التي احتلت مكانـه وبدأت تمارس الحياة علـــى ارضه بدلا منـه ، وهكذا يصبح الشعب المقهور بجميـــع افراده طبقـة من الكادحين المستغلين .

وقد شهد التاريخ صورة جديدة من ابشع صور الاستيطان واعنفها وقد تمثلت هذه الصورة بطرد شعب باكمله من اوطانه واحتلال ارضه وتمزيق مظاهره الاجتماعية وايقاع عقوبة الابادة عليـه ، وهذا بالضبط ما عاناه وما زال شعبنا العربـــي الفلسطيني .

ان الغزو الصهيوني يمثل في حقيقته احتلالا في اقسى صورة فقد استبدل شعبنا بشرذمة من شذاذ الافاق جاءوا من مختلف المجتمعات الانسانية تجمعهم المصلحـة فـــي الاستيطان وتقودهم حركـة استعماريـة عنصرية هـــي الحركة الصهيونية وتدعمهم الامكانيات المالية والسياسية

والدعاوية لاكبر دول الاستعمار اميركا وبريطانيا وتشترك في تثبيت وجودهم حفنة من المتامرين الخونة من الحكام العرب ابان مرحلة النكبة . ويتميز هذا النوع في الاستعمار المباشر بصفة اخرى غير الاستيطان هي صفة التوسع والامتداد بشكل عدواني . ويحاول هذا النوع من الاحتلال اعطاء تبرير تاريخي وبناء مجتمعه على اسس فكرية مستمدة من الدين اليهودي . ولقد ساعد الصهيونية على احتلال فلسطين عوامل كثيرة منها ضعف الفعاليات الثورية للامة العربية في تلك الاونة وعدم تبلور المفهوم القومي بصورة ناضجة تجعل للقومية العربية استراتيجية معينة وخطة ثورية معلومة وايديولوجية محددة قادرة على تعبئة الطاقات الجماهيرية والتنظيمية وتحريكها ودفعها لصد العدوان اي ان تلك المرحلة التي كانت تمر بها الامة العربية كانت مرحلة انهيار الوجود العربي التقليدي بكل مؤسساته الفكرية والاجتماعية . ولا شك ان الاحتلال الصهيوني يمثل نقطة انعطاف في تاريخ تطورنا القومي ويعتبر مصدر عداوة لحضارتنا الحديثة الناشئة ، ان هذا الاحتلال الصهيوني يحاول بناء مجتمع متكامل من الوجهة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية بالرغم من اختلاف اوجه الثقافات والتقاليد والعادات ، والتكوين النفسي لمختلف الجنسيات التي يتكون منها المجتمع الصهيوني العدواني في فلسطين .

كان الهدف الاول من الاستيطان كسب الاعتراف بوجود

دولة يهودية كأمر واقع ، والهدف الثاني ازالة المظاهر والمقومات المادية والانسانية التي تجسد المعنى الفلسطيني كالشخصية الفلسطينية والكيان الجغرافي الفلسطيني والصفة الاجتماعية والسياسية للشعب الفلسطيني .

وتحاول الصهيونية تشويه القضية الفلسطينية وجعلها مشكلة اقليمية بين دول مستقلة وليس قضية انسانية لشعب طرد بالعدوان من ارضه وهذا التصوير للقضية تهدف منه الصهيونية كسب الرأي العام العالمي ووقوفه بجانبها بعد ان تكون قد ازالت العدالة من هذه القضية وافقدتها كل ارتكاز جغرافي او سياسي تتمركز حوله مطالب جماهيرية وشعبية محددة وعادلة .

لقد تم للعدو مهمة محو الشكل الجغرافي للقضية الفلسطينية باقامة كيان دولة الصهاينة والكيان الاردني فانتفى بذلك الكيان الفلسطيني وفقد وحدته السياسية والاجتماعية وبقي للصهاينة بعد ذلك مهمة ازالة الصفة الحية عن القضية الفلسطينية باذابة عرب فلسطين في حياة المجتمعات العربية المجاورة حتى تندثر نهائيا الاداة الثورية الحقيقية التي يمكن اعتبارها نقطة الانطلاق او وحدة القياس في المسألة الفلسطينية وتطوراتها .

لقد حرم الاستيطان الصهيوني شعب فلسطين من ثرواته

وامكانياته ومن كينونته الدولية وهذا من شأنه ان يطيل من غفوة هذا الشعب ومن حوافز الدفع الثوري لديه بسبب تبعثر مقوماته الشعبية وبكلمة قصيرة نقول ان الاحتلال الصهيوني استطاع ان يمزق الوحدة الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للشعب الفلسطيني كشرط اساسي لتوطيد احتلاله لفلسطين كبديل بشري لهذا الشعب وحقيقة قائمة في الواقع لا تقبل الشك .

ان الخطورة في هذا النوع من الاستعمار الشامل هو اكتمال صورته المجتمعية اي انه بهذه الصورة يحاول اتخاذ شكل ابدي كمجتمع له مقوماته السياسية والاجتماعية والجغرافية والدولية .

وهناك عوامل اخرى تساعد في تثبيت هذا التصور الصهيوني لمجتمعهم العدواني في فلسطين هو ما يملكونه من امكانيات مادية وعسكرية يحاولون تطويرها بسرعة فائقة .

ان فهمنا الصحيح لواقع الاحتلال الصهيوني يؤكد لنا ان استعادة الارض المحتلة لا يمكن ان يتم الا عن طريق العنف المسلح كوسيلة حتمية وحيدة لا مناص من تجنبها او الاستغناء عنها في معركة التحرير . ان عملية التحرير ليست ازالة قاعدة استعمارية فقط بل الاهم من ذلك انقراض

مجتمع ولا بد للعنف المسلح ان يتخذ اشكالا عديدة بالاضافة الى القضاء على القوى العسكرية لدولة الاحتلال الصهيوني اي ان يتجه الى تدمير المقومات المعيشية للمجتمع الصهيوني بكل صورها الصناعية والزراعية والمالية . لا بد ان يهدف العنف المسلح ايضا الى تدمير مختلف المؤسسات العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية والفكرية لدولة الاحتلال الصهيوني حتى تزول كل امكانية لبروز مجتمع صهيوني جديد . ليست الهزيمة العسكرية فقط هي الهدف من حرب التحرير الفلسطينية وانما ايضا القضاء على صبغة الصهيونية للارض المحتلة بشرية كانت ام اجتماعية .

واذا تفحصنا القضية الفلسطينية من جميع وجوهها نرى ان الضرورة تقتضي ارضاء الكثير من الاطراف عند قيامنا بحل القضية الفلسطينية فمثلا اذا كنا نعتبر ان للراي العام العالمي وزنا وحتمية فلا بد لنا ان نقدم لهذا الرأي العام حلا يرضيه او يتقبله ولو بصعوبة . وعندما نقول باسترضاء الرأي العام العالمي لا نعني طبيعة الحل للقضية الفلسطينية بل الاسلوب في حلها ، فليس من حق الرأي العام العالمي ان يناقشنا ضرورة حل هذه القضية ولكن من حقه ان يعلم اسلوب الحل حتى لا يوصمنا بالفاشستية او اللاسامية وغير ذلك من الصفات اللا انسانية .

ان حرصنا على استرضاء الرأي العام العالمي هو عامل

هام في كسب تأييد هـذا الرأي العام للحل الذي نقدمه .

واذا كان للشعب الفلسطيني دور طليعي فلا بد له ان يحقق لنفسه هذا الدور الطليعي لتعبئـة نفسه وتنظيـم جماهيره وخوض المعركة بقناعة وايمان وليس كاداة تتقبل الارشاد العربي بشكل صارم غير قابـل للنقد او التعديل .

واذا كان للامة العربية مهمة قومية في المسألة الفلسطينية فلا بد لنا ان نقيم دورها في حل القضية الفلسطينية وان لا ننقصها حقها في الاسهام بهذا الحل بشكل يتلاءم مـع مصيرها ومستقبلها في الوحدة والتحرر . وقبل كل شيء لا بد لنا ان نعترف ان جزءا كبيرا من الامة العربية مشلول الارادة يكاد يكون فاقد التفاعل مع القضية الفلسطينية ، بسبب ما توقعـه عليه الفئات الحاكمة العميلة من حجـر سياسي يحول دونـه ودون القضية الفلسطينية . وهـذا الحال يشير الى ان الشعوب المتحررة من الامة العربيـة سوف تقوم بتحمل عبء التحرر وحدها دون مشاركة الشعوب الاخرى التي ترزح تحت احكام رجعيـة جائـرة .

من هذا الطرح الواعي نستطيع القول ان النضال القطري الفلسطيني المسلح هو نقطة البدايـة في تصفية الاحتلال الصهيوني ، وهذا القول يتمشى مع كون الشعب الفلسطيني صاحب الدور الطليعي في معركـة فلسطين . كما ان هذه

البادرة الفلسطينية بالرغم من ارتباطها العضوي بالامة العربية ، ستجعل الرأي العام العالمي يقر حق الشعب الفلسطيني في تحرير ارضه وتقرير مصيره تمشيا مع ميثاق الامم المتحدة ولا يجعل للرأي العام العالمي مجالا للوم او الاستنكار بل سيزيد من اهتمامه في محاولات حل القضية الفلسطينية .

ان اضطلاع الشعب الفلسطيني بدوره الطليعي بشكل ارادي حر سيجعل الامة العربية تتيقظ وتعبيء جهودها للدفاع اولا عن اراضيها ثم للهجوم لتصفية الاحتلال الصهيوني كمرحلة اخرى تلي المرحلة الاولى بعد ان يزداد الصراع الدامي بين عرب فلسطين والعدو ويتخذ شكل التصفية لدولة الاحتلال الصهيوني ، او على الاقل ان لم يصح ذلك في البداية ، ايقاف المد التوسعي بالقضاء على مقومات النمو الصهيوني . ولا شك ان قسر المعركة ضمن الحدود الفلسطينية سيصور الصراع امام الرأي العام العالمي صراعا بين عرب فلسطين من جهة ودولة الاحتلال الصهيوني من جهة اخرى . فاذا حاولت دولة الاحتلال الصهيوني مد الصراع الى الحدود العربية بدأت عند ذلك مهمة الامة العربية في صد العدوان والقيام بتصفية الاحتلال الصهيوني حسب مقتضيات الظروف الدولية السائدة في تلك المرحلة.

ولا شك ان وصول معركة التحرير الى مرحلة اشتباك

القوى العربية الضخمة مع قوى الاحتلال الصهيوني سيجعل احتمال دخول اطراف اخرى فيها واردا ، وهـذا يفرض بالضرورة توسيع ساحـة المعركـة ابعد من حدود الهدنة، ويفرض ايضا التحام القوى العربية الثورية وسحق القوى الرجعية المتخاذلة ومحو التجزئة وتوحيد الصفوف العربية وقيادتها كشرط اساسي لكسب المعركة .

والان لنترك هذه التصورات التي يمكن وقوعها لنعود الى اشياء اهم منها لاننا ما زلنا نعيشها في الوقت الحاضر .

يبدو ان نقطـة البدايـة في حل القضية الفلسطينية تقع عند ضرورة القيام بمراجعة شاملـة لحيثيات القضيـة ولبديهياتها والمسلمات فيها وذلك ليس لرفضها او التشكيك بها ولكـن للتحقق من مضمونها واثارها على واقع النضال الثوري وضرورة انتصاره في الساحة الفلسطينية . ومن هذه البديهيات مثلا شعار كان يطرح في المنطقة العربية وينادي بان الوحدة طريق العودة وكانت الجماهير مشدودة بهـذا الشعار الثوري شدا عاطفيا مما جعل القضية الفلسطينية تفقد اهميتها في الواقع وتنحدر الى مدارك التصفية علمـا بانها نقطـة الارتكاز والاهتمام الظاهر في هذا الشعار . وجاءت الاحداث والنضالات الشعبية المستمرة بمنجزات عديدة للثورة العربية في مختلف اقطارها بكل ما في هـذه المنجزات من مكاسب او اخطاء جعلـت الجماهير تفقـد

حماسها الظاهر لقضية الوحدة بسبب ما اصابها من انتكاس عند وقوع الانفصال .

صحيح ان من واجبنا كثوريين ان لا نفقد الامل في الوحدة والايمان بها ، ولكن هذا الامل والايمان يحتاج الى زمن طويل حتى يتحقق بسبب ما أصاب الجماهير من فتور في هممها النضالية، لذلك لا بد من تحقيق الوحدة عن طريق اخر هو طريق فلسطين، اي ان الشعار المطروح في الوقت الحاضر هو شعار فلسطين طريق الوحدة . والسبب في قلب هذا الشعار هو ان اي شعار ثوري كشعار الوحدة لا بد عند تحقيقه من أن يخلق وضعا اخر يختلف كيفيا عن الاوضاع السابقة بل انه ينفيها . وعملية ضخمة مثل هذه لا يمكن ان تتم في حياة الامم في فترة قصيرة الا اذا اصيبت الامة بهزة عنيفة تحدث اثارا عميقة في حياة المجتمع وانسانه ومسالكه اي لا بد من ادخال تحول تاريخي وتغيير جذري في انماط المجتمع العربي حتى يتحقق شعار الوحدة وبكلمة قصيرة احداث انقلاب حياتي في هذا المجتمع .

ومثل هذه التحولات التاريخية تتم عادة عن طريق الحروب والنكبات والطفرات الاقتصادية الجامحة . وان اقرب وسيلة لاحداث هذا الانقلاب الحياتي والتحول التاريخي الكبير في مجرى التطور القومي للامة العربية هو خلق المناخ الملائم لمعركة مصيرية فاصلة بين العرب والعدو

الصهيوني ، اي معركة فلسطين وبغير ذلك سوف نصل الى الوحدة بشكل تطوري وبلقاء مستمر بين القوى الثورية بين فترة واخرى .

وهناك من ينادي بخلق الدولة الطوق ، اولا كنقطة ارتكاز في حل القضية الفلسطينية . اي لا بد اولا من النضال لتحقيق الدولة الطوق قبل البدء بخوض معركة فلسطين. وهذا في حقيقة الامر رأي فيه شيء من الصواب . لو تحققت الدولة الطوق او لو ان الوقائع والاحداث تبشر بقرب تحقيقها ، لكن اثبتت التجربة ان الدولة الطوق لا يمكن ان تتحقق في مدى قريب وفي ظروف ستاتيكية نسبيا مثل التي كنا نمر بها قبل مؤتمرات القمة وقبل الانطلاق بالعمل الفدائي . والسبب في ذلك راجع الى الخلاف حول بعض المنطلقات العقائدية للحركات الثورية العربية . وهذا الامر يجعل الحركات الثورية التي تقود النضال في الدول العربية المتحررة من الصعب عليها ان تلتقي الا بعد تجارب طويلة تجعلها تتوصل في نهاية الامر الى الايديولوجية الثورية الواحدة للمجتمع العربي الحديث . ولكن يمكن لهذا الحوار والخلاف العقائدي ان ينتفي او يؤجل ويعمق مفهوم الثورة العربية لدى جميع الفئات اذا ما احست بوجود مسائل تهمها اكثر من اهتمامها بالحوار العقائدي . وتجعلها بالضرورة متوجهة بجهدها وفكرها وعملها وثرواتها لخدمة عامل اهم من خلافها العقائدي هو

صد العدوان الصهيوني وخوض معركة المصير العربي في فلسطين . واذا كان اهتمامنا ما زال قائما نحو ضرورة ان يعين العرب زمان ومكان المعركة كاحدى الاسس التي بنيت عليها استراتيجيتهم العربية فلا بد ان تعتمد على استراتيجية ثورية تقوم على الدفاع والهجوم في آن واحد وليس على الدفاع فقط كما هي الحال في السابق لان زمام المبادرة سنتركه بيد العدو ليضربنا متى شاء وهو آمن من ضربتنا المفاجئة . ومن الفرضيات ايضا التي تطرح نفسها في المنطقة هو الخوف من العبث بالامن العربي وهنا لا بد لنا من تذكير اصحاب هذا الرأي ان الامن العربي لا بد له أن يتركز حول ضرورة وحتمية انقاذ فلسطين والتخلص من الاحتلال الصهيوني كاكبر الاخطار التي تهدد هذا الامن وتمزقه .

مع ذلك نرى أن هناك من ينادي ايضا بضرورة تعبئة الجماهير وتهيئتها مسبقا قبل خوض المعركة .ان من يعتقد ان التهيئة والتعبئة السياسية يمكن ان تتم بشكل حسن بدون نضالات ثورية يومية تمس واقع القضية وتدور حول محورها التحرري هو خاطيء في اعتقاده لان الجماهير تحب ان ترى بوضوح ما تحس به وتستشعره لذلك فانها اقرب الى التفاعل بالنسبة لمشاكلها القطرية وهي تسير في طريق بناء مجتمعها الوطني وتحقيق منجزات قطرية تخدم مصالحها اكثر من تفاعلها بالقضية الفلسطينية . ان اهتمامها بالمشاكل القطرية التي تعيشها يوميا سيصيبها بالترهل الثوري

بالنسبة للقضية الفلسطينية ويصبح الاستقرار المادي والسياسي هدفا عميقا من اهدافها الحياتية تسعى بكل جهدها لتحقيقه ناسية او متناسية اهدافا قومية اخرى . وبهذا القول نعني ان الهدف القومي « تحرير فلسطين » سيتناقض مع الهدف القطري « تحقيق الرفاهية الشعبية وبناء الاشتراكية » .

لذلك كان من الضروري تصعيد النضالات الثورية المسلحة لعرب فلسطين حتى لا تغيب الامة العربية بجماهيرها عن الساحة الفلسطينية بل يزداد قلقها الثوري فتندفع في الوقت المناسب الى خوض المعركة قبل ان يتمكن العدو الصهيوني من زيادة امكانياته البشرية والمادية والتكنولوجية التي تتصاعد بشكل سريع يفوق نسبيا تصاعدها بالنسبة للامة العربية .

ان حل قضية فلسطين لا بد ان يتم عن طريق الحرب الشعبية التي تعتمد الجماهير اداة واعية لتحقيقها وذلك بالرغم مما نشاهد من توترات على خطوط الهدنة لان طبيعة الحل الشعبي هو الكفيل بتصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسيا واجتماعيا وفكريا . والسبب في ذلك راجع الى ان الحرب الكلاسيكية ربما تحرز نصرا عسكريا حاسما ولكنها لا يمكن لها ان تصفي مجتمعا باكمله . اما الحرب الشعبية فسيكون من اهدافها القيام بعملية استبدال

تدريجي للمجتمع العدواني القائم في فلسطين بعودة النازحين اليها بعد ان تحدث الثورة المسلحة انقلابا حياتيا في الشعب الفلسطيني بعد ان اصيب بامراض اجتماعية متعددة نتيجة النكبة . كما ان الهدف من التصعيد الثوري الكفاح الفلسطيني المسلح هو ازالة الترسبات السلبية التي تكلست حول الذهن العربي وجعلته عاجزا عن تقييم مراحل النضال القومي . ومن بين هذه الترسبات الخوف من احتلال الضفة الغربية . وقد نشأ هذا الخوف نتيجة الهجمات الصهيونية المتكررة على الارض العربية واحتلال المزيد منها في كل مرة ، او باحراز انتصار وهمي بعد هجوم خاطف . وقد ولد هذا الخوف عقدة العجز واصبح الذهن العربي يعيش ازمة حل القضية الفلسطينية منذ زمن بعيد ولكي تذوب هذه الترسبات وحتى يتخلص الذهن العربي من عقدة العجز كان لا بد من وجود تجربة تبطل هذا الرأي وتزيل الخوف وتكشف جذوره الوهمية . لذلك انطلقت الاعمال الفدائية كسبب مباشر لازالة الخوف وللاشفاء من عقدة العجز والاحتلال .